

صورة الآخر في شعر الناشئ الصغير

ا.د. نهى حسين كندوح

احمد عبد الجبار خليل

جامعة القادسية / كلية التربية

جامعة القادسية / قسم الشؤون الادارية

Another image in emerging poetry

Dr. Noha Hussein Kandouh

Ahmed dbdel-jabbar khalil

Al-Qadisiyah University

**Al-Qadisiyah University / Department of
Administrative Affairs
College of Education**

كثيرة هي الظواهر التي تضمنها الشعر العربي القديم ، وهذه الظواهر المختلفة جعلت الشعر القديم متسماً بالجمالية ، لذلك جاء على نسج جمالي متفرد ، وجعلاً منه شعراً خالداً من العصور واختلاف الأزمنة ، ويحتثنا هذا يسعى الباحث من خلاله الكشف عن ظاهرة ماثلة في شعر شاعر كرس جل شعره من أجل نصره آل البيت (عليهم السلام) ، وهذه الظاهرة هي (الآخر في شعره) ، من خلال الرجوع إلى الديوان رجوعاً دقيقاً ، محاولين ربط الظاهرة بالعرض والغرض بالجمال الشعري ، فجاءت خطة البحث على مبحثين :

There are many phenomena included in ancient Arabic poetry, and these various phenomena made ancient poetry characterized by aesthetics, so it came with a unique aesthetic texture, and made it eternal poetry across the ages and different times, and through this research, the researcher seeks to reveal a phenomenon present in the poetry of a poet who devoted most of his poetry. In order to support the family of the Prophet (peace be upon them), and this phenomenon is (the other in his poetry), by referring carefully to the collection, trying to link the phenomenon to the purpose and the purpose to poetic beauty, so the research plan came in two sections

المبحث الأول : في معنى الآخر في الدرس النقدي الحديث .

المبحث الثاني : الآخر في شعر الناشئ الصغير

التمهيد : في معنى الصورة :

حظيت الصورة الشعرية عند القدماء بالاهتمام والتحليل، وقد أكد الناقد إحسان عباس أن الشعراء قد استخدموا الصورة الشعرية منذ القدم، وليست الصورة شيئاً جديداً، فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وُجد إلى اليوم، لكن استخدام الصورة يختلف من شاعر إلى آخر، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصُّور، وقد درسها العديد من النقاد العرب، كعبد القاهر الجرجاني، إذ يقول: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصُّوغ فيه" وتكلم عبد القاهر الجرجاني، (٤٧١هـ) حين يتحدث عن جانب التشخيص في الصور الفنية، والوظائف الفنية للاستعارة والتفاتة إلى قضية التناقض والتضاد، ودورهما في خلق صور مبتكرة في قوله: "الأشياء المشتركة في الجنس، المتفقة في النوع، تستغني بثبوت الشبه بينها، وقيام الاتفاق فيها، عن تَعَمُّل وتأمّل في إيجاب ذلك لها، وتثبيته فيها، وإنها لصنعَةٌ تُستدعى جودة الفريحة والحدق الذي يلطف ويدق في أن يجمع أعناق جميع المتأفرات المتباينات في ريقة، ويعقد بين الأجنيات معاهد نسب وشبكه...، وما شرفت صنعة، ولا نكر بالفضيلة عمل، إلا لأنهما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما، ويحتكمان على من زاولهما والطالب لهما في هذا المعنى ما لا يحتكم ما عادهما، ولا يقتضيان ذلك إلا من جهة إيجاد الائتلاف في المختلفات، وذلك بين لك في ما تراه من الصناعات وسائر الأعمال التي تنسب إلى الدقة فإنك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها أشد اختلافاً في الشكل والهيئة، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتم، والائتلاف أبين، كان شأنها أعجب والحدق لمصورها أوجب" ذلك أدونيس ((لعل خير ما نعرف به الشعر الجديد هو أنه رؤيا . والرؤيا بطبيعتها فقرة خارج المعلومات السائدة هي أذن، تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها. وهكذا يبدو الشعر الجديد، أول ما يبدو تمرداً على الأشكال والطرق الشعرية القديمة)) (٣)

المبحث الأول : في معنى الآخر في الدرس النقدي الحديث :

ومما يبين أهمية تلك المواكبة هو أن معظم فلاسفة اليونان - حتى قبل أفلاطون - قد استخدموا الشعر في التعبير عن بعض أفكارهم الفلسفية، وأحياناً كلها، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: هيراقليطس، وبرميندس وأبناذوقليس وأخيراً هوميروس الذي وضع في ملحمتي الألياذة والأوديسة، الكثير من أفكاره وآرائه الفلسفية... ومثل هؤلاء فعل حكماء الشرق الأولين الذين وضعوا أفكارهم وآراءهم الفلسفية في ملاحم ومنظومات شعرية، ومن ذلك مثلاً ملحمة "جلجاميش" السومرية التي نُظمت شعراً في الألف الثاني قبل الميلاد^٤ يعتبر الأنا والآخر من المصطلحات التي باتت مُنتشرة بشكل ملحوظ؛ لما له من تأثير على واقع البشرية العام بصفته ذلك المصطلح الذي تمّ تصديده من الفلسفة الغربية إلى الفلسفات الأخرى، وكان للفلسفة العربية نصيب من التأثر في مصطلح الأنا والآخر، والذي أصبح يستخدم للإشارة إلى الاختلافات الفكرية متعددة الأنواع والأشكال من التعريفات العامة لمفهوم الأنا والآخر؛ أنه العلاقة ما بين شخصية الأنا أي الذات، وشخصية الآخر المُختلف عن الذات، وإن هذه الثنائية تشكل معايير معاكساً عندما ينظر الآخر بصفته الأنا إلى الأنا بصفته الآخر، ومن هنا يظهر الاختلاف بين الأشخاص الذين لا يتفقون بأرائهم حول شيء ما، ويظل هذا الاختلاف قائماً حتى يتم الوقوف عند نقطة تساهم

في الوصول إلى حلٍ نهائيٍّ يؤدي إلى تقاربٍ في الآراء بين كافة الأطراف. ° إن مفهوم الآخر لا يمكن فهمه إلا من خلال الإيمان بضرورة ربط الفرد بالفرد الآخر أو ربط الفرد بالمجتمع أو الجماعة، وهذا التصور قائم على مدى التفاعل الحي المنتج بين الفرد والمجتمع على وفق علاقات مختلفة قد تكون بالسلب أو الايجاب أو بالقبول أو بالرفض، وتحدد تلك العلاقات بموجب فهم السياق الحاكم لإنتاج النص، ((إن تشكيل صورة الآخر في أبعادها الذاتية والموضوعية، وفي أشكالها ومضامينها، تمر عبر الذات المكونة لهذه الصورة، بكل ما تحوزه هذه الذات من موجّهات أيديولوجية وسياسية وخبرات مباشرة، تاريخية ومعاصرة. غير أنه حقيقي أيضاً أن الآخر باختياراته وأفعاله وردود أفعاله يسهم بتأسيس بعض مرتكزات صورته لدي الآخر)) (٦)

البحث الثاني : الآخر في شعر الناشئ الصغير :

تنوّع الآخر في شعر الناشئ الصغير ، فجاء بصور مختلفة ، استطاع من خلال شعره رسم صورة فنية كلية حسية مدركة تارة ، وحسية غير مدركة تارة أخرى ، فالآخر يمثل في شعره موقفاً خاصاً إزاء ذلك الآخر المختلف المتنوع ، ومن هنا حاولنا رصد الآخر في شعره ، إذ بدأنا من النص ورجعنا إليه ، رجعة رابطين فيها بين الآخر بوصفه ظاهرة فنية والصورة الفنية بوصفها قيمة جمالية .

أولاً : الآخر / النبي وآل بيته (عليهم السلام) :

ألا إن خير الخلق بعد محمد	عليّ الذي بالشمس أزلت دلائله
وصي النبي المصطفى وبعثه	وورائه علم الغيوب وغاسله
ومن لم يقل بالنص فيه معاندا	غدا عقله بالرغم منه يجادله
هو البحر يغني من غدا في جواره	ولا عجب أن يندب الفخر تاكله ^٧

الآخر في هذا النص هو الإمام علي (عليه السلام) ، عيّر عن موقفه المؤيد والمشايخ له عبر توظيف فني متكامل البناء من حيث اللغة والصورة والإيقاع ، فهو الآخر الذي يمثل الامتداد الحقيقي لشخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقد وصفه بخير الحلق بعده ، والوصي المصطفى ، ووارث علم الغيوب ، وبالبحر الذي يغني كل من رسو عند سواحل الممتدة ، فالآخر هنا هو آخر مقدس يمثل معادلاً موضوعياً لكل القيم الخلقية .ومنه قوله :

يا غائباً حاضراً بأنفسنا	وباطناً ظاهراً لمن غفلاً
يا بن البذور الذي نورهم	يسطع في الخافقين ما أفلاً
وابن الهام الذي بسطوته	قوض ضعن الإشراف مرتحلاً

الآخر هنا أيضاً الإمام علي (عليه السلام) استطاع الشاعر أن يصوره تصويراً فنياً قائماً على التضاد أو التقابل الضدي ، فقد قابل في توصيفه بين (الحاضر والغائب) و(الظاهر والباطن) ، ثم أضفى عليه صفات حسية أخرى ، فهو (ابن البذور) ، و (ابن الهمام) في إشارة إلى أبيه أبي طالب ، فالصفات تداخلت والصور تشابكت ، وهذا يعني أن الشاعر قد أدرك أن ((الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية)) (٨)

ومنه قوله في الإمام الحسين (عليه السلام) :

مصائب نسل فاطمة البتول	نكت حسراتها كبد الرسول
ألا يأبى البذور لقين كسفا	وأسلمها الطلوع إلى الأفول
ألا يوم عاشورا رمانني	مصابي منك بالداء الدخيل
كأنني بآب فاطمة جديلا	يلقي التراب بالوجه الجميل
جديلا ظل فوق الأرض أرضا	فوا أسفي على الجسد النحيل ^٩

أدرك الشاعر هنا أن الشعر هو ((خروج على نظام اللغة ، واستحداث لأنماط تعاني التحريف عن طريق تغيير العلامة معناها الى معنى اخر ، أي عندما تنوب كلمة اخرى كما تحدث في الاستعارة والكناية وكل الصور البيانية المحصورة بهذه البنية المزدوجة)) (١٠) وأدرك كذلك ((أن لغة الشعر هي قدرة الشاعر على صياغة الفاظه في سياقاتها المناسبة ، لتشكيل النسيج الشعري ، والمشمتم على اللفظ والدلالة ، وما يبثه فيها الشاعر من مخزونه العاطفي المتعرج بالمشاعر والأحاسيس)) (١١) فالشاعر هنا حاول تصوير الآخر

تصويراً ممزوجاً بالحزن والأسى ، حيث المصاب الأليم ، حيث الشهادة من أجل إصلاح الأمة الإسلامية ، فقرن صورة الآخر هنا بصورة ما حدث في كربلاء ، ومن هنا جعل من كربلاء ومأساتها معادلاً موضوعياً للآخر / الحسين ، إذ قدم مشهداً درامياً حزينا ، تهتز له العاطفة وتحرك الوجدان . ومنه قوله في الإمامين الكاظميين :

بغداد وإن ملئت قصورا	قبور عشت بالآفاق نورا
ضريح السابع المعصوم موسى	الإمام المحتوي مجدا وخيرا
قبر محمد في ظهر موسى	يُغنى نور بهجته الحضورا
هما بحران من علم وجود	تجاوز في نفائسها البحورا
هما بدران من رشد وحسن	أبي نورتهما تحكي البديورا
هما طوران من منع وهدي	فإن فصلت ثم الطود طوراً ^{١٢}

لقد استطاع الشاعر أن يوظف الآخر في هذه المقطوعة مجتمعة ليشكل بمجملها صورة شعرية تضافرت الدلالة فيها وتواشجة الصورة عبر نسق تعبيرى خاص ، منتقلاً فيها جميعاً من المحسوس الى المجرد ومن المجرد الى المحسوس ، ومن المعقول الى غير المعقول والعكس ، والهدف من ذلك كله إحداث الدهشة في المتلقي ، فقد جعل صورة الآخر محاكاةً بهالة من القدسية ، قدسية العصمة ومقام الإمامة ،

ثانياً : الآخر الصديق :

علاقة الإنسان بالصديق علاقة حميمة روحية وجدانية ، وقد وقف الشعراء قديماً مصورين عمق هذه العلاقة ، صفاء ووفاء وعطاء ، ولا يكاد يخلو شعر شاعر مر العصور على نماذج شعرية تصور جمالية تلك العلاقة ، أما الشاعر الناشئ الصغير فقد ورد نظر الصديق في موضع واحد في ديوانه الشعري ، معاتباً إياه ، معبراً عن حزنه العميق لفراقه ، وهجره له ، ومنه قوله :

إني ليهجرني الصديق تجنبا	فأريه لهجره أسبابا
وأخاف أن عاتبته أغريته	فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا بليت بجاهل متغافل	يدعو المحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكون وربما	كان السكوت عن الجواب جواباً ^{١٣}

الصورة الشعرية في هذه الخمسة الشعرية مركبة ، إذ تداخلت الصور الشعرية فيما بينها ، أنتج ذلك التداخل والتراكب صورة شعرية استعارية متممة بالحركية والنماء الدلالي ، فبدأها بتصوير مجازي ، إذ صور الآخر / الصديق ، فالشاعر عبّر عن علاقته بذلك الآخر تعبيراً حسياً ، فهو يخشى هجرته ومعرفة أسبابها ، وبالمقابل يتجنب عتابه ، لأنه ترك العتاب للعتاب ، وبذلك قدّم للمتلقي صورة شعرية مبنية على العلاقة الروحية التي تربطه بالآخر مستعملاً في ذلك الصورة الاستعارية ، في قوله : ((أرى العتاب عتاباً) و قوله : (كان السكوت جواباً) ، وهذا التحول نحو المعنى الجديد ليس تحولاً هامشياً وإنما تحول داخلي مرتبط بالتحول الدلالي الذي يقصده الشاعر ، لذلك فإن بعض البلاغيين تجاوز التحول الأولي في التركيب الاستعاري القائم على المبدأ المقترض وجود علاقة تشابه بين جزئي الاستعارة ، وعني بالتحول الداخلي في العلاقة الاستعارية نفسها ، واستعاض عن مبدأ (النقل) في التركيب الاستعاري بمبدأ آخر يعتمد عليه المنشيء في بناء تركيب استعاري ، وهو (التصيير والجعل)^{١٤}

ثالثاً : الآخر الخليفة :

وهنا في هذا النوع من الآخر يعطي للمتلقي صورة عن علاقته بالمركز السياسي المتمثل بشخص الخليفة ، فقد نظم أبياتاً مادحا سيف الدولة الحمداني ، وفيها يقول :

أودع لا أنسي أودع طائعا	وأعطي بكرهي الدهر ما كنت مانعا
وأرجع لا ألغي سوى الوجد صاحباً	لنفسى إن ألفت بالنفس راجعا
تحملت عنا بالصنائع والعلا	فستودع الله العلا والصنائعا
رعاك الذي يرعى بسيفك دينه	ولقائك روض العيش أخضر يانعا ^{١٥}

قدم الشاعر صورة عن الآخر / سيف الدولة الحمداني ، وهذه الصورة تعكس علاقته به فضلا عن موقفه منه ، فالشاعر عدّ بطلا شجاعا ، صاحباً له ، ومدافعا عنه ، وحاميا لدين الله ، وبذلك تشابكت الصفات وتداخلت السمات في شخص الحمداني ، وبذلك تكون الصورة الفنية تشكيلاً جمالياً يتكون من مجموعة عناصر ، وهي تقاطع لمجموعة من العلاقات التعبيرية والفنية وتعكس من خلال اتحاد عناصرها الذاتية والموضوعية وتداخلها وتكاملها صور الفرد او الجماعة وتتكشف من خلال كثيفها التجربة الذاتية للشاعر وتجسيدها لتجارب متعددة ذات عمق إنساني وتاريخي^(١٦) ومنه قوله مادحا خلفاء بني العباس :

بني العباس إن لكم دماء أراققتها أمية بالذحول
فليس بهاشمي من يوالي أمية وللعين أبازيل^{١٧}

الذاتة :

- ١- يعد الشاعر الناشئ الصغير من الشعراء اللذين نحو بالكلمة منحى جماليا على مستوى الصورة والتركيب والتأليف .
- ٢- يعد الشاعر الناشئ الصغير من الشعراء الذين نوعوا الآخر في أشعارهم ، دليلا على عمق التجربة الشعرية ومدى تقاربها من الواقع
- ٣- جاء (الآخر) في شعر الصغير على أنواع مختلفة ، إلا أن الآخر / ال البيت هم الأكثر حضورا .
- ٤- جاء الآخر / الصديق تعبيرا صادقا عن عمق العلاقة بين الشاعر والصديق .
- ٥- لا يمكن فهم الآخر بمعزل عن فهم الأنا ، فكلاهما مترابطان أشد الترابط .

المصادر :

- الأدب والفلسفة وأشكالهما الفنية ، هيام قباني ، دار المعارف ، ٢٠٠٧ .
- البلاغة العربية - قراءة أخرى ، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٩٦ .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة الخانجي ، مصر .
- ديوان الناشئ الصغير ، علي بن عبد الله بن وصيف ، شاعر آل البيت عليهم السلام ت ٣٦٦ هـ ، جمعه الشيخ محمد السماوي (رحمه الله) ، قدم له وحققه وذيل له : هلال ناجي ، مؤسسة البلاغ ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ .
- زمن الشعر ، أدونيس ، ط٥ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٦ م : ٩ .
- صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه ، تحرير : الطاهر لبيب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ .
- الصورة الفنية في المثل القرآني ، محمد حسين الصغير ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ .
- الصورة في الشعر العربي حتى اخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها ، الدكتور علي البطل ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨١ م
- علم النص جوليا كريستيفا ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط٣ ، ٢٠١٤ م .
- لغة الشعر الحديث في العراق ، د. عدنان حسين العوادي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، بلا طبعة ، ١٩٨٥ م
- هوامش البحث

^١ ينظر : الصورة الفنية في المثل القرآني ، محمد حسين الصغير : ٢٢

^٢ ينظر : دلائل الإعجاز : ١٢٢

^(٣) زمن الشعر ، أدونيس ، ط٥ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٦ م : ٩ .

^٤ ينظر : الأدب والفلسفة وأشكالهما الفنية ، هيام قباني : ٣

^٥ ينظر : الأنا والآخر ، مجد مالك خضر ، <https://talabanews.net/ar>

^(٦) صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه ، تحرير : الطاهر لبيب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ : ٣٥٧-٣٥٨ .

^٧ ديوان الناشئ الصغير : ٣٦

(٨) الصورة في الشعر العربي حتى اخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، الدكتور علي البطل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨١م: ٣٠.

^٩ ديوان الناشئ الصغير : ٤٨

^{١٠} علم النص جوليا كريستيفا ، ترجمة : فريد الزاهي، مراجعة : عبدالجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، المغرب، ط٣ ، ٢٠١٤م .
: ٧٧ .

^{١١} لغة الشعر الحديث في العراق ، د. عدنان حسين العوادي ، دار الحرية للطبعة ، بغداد ، بلا طبعة ، ١٩٨٥م : ٩

^{١٢} ديوان الناشئ الصغير : ٥٤

^{١٣} ديوان الناشئ الصغير : ٨٩

^{١٤} البلاغة العربية ، محمد عبد المطلب ١٦٦.

^{١٥} الديوان : ١٠٩

(١٦) ينظر : وظائف الصورة الفنية ومهامها ، عبد الله خلف العساف (شبكة الانترنت) .

^{١٧} الديوان : ١١١